

الإعجاز التأثري في تأصيل وتثبيت العقيدة الإسلامية

Diwan of Sunni Awqaf

College of Imam al-A'dam

Influential miracles in the establishment and
confirmation of Islamic belief

بحث مقدم من قبل
م. د. فلاح نجم عبدالله

A study submitted by

M. Dr..Falah Najm Abdull

ملخص البحث

للإعجاز التأثري مكانة عظيمة على النفوس والقلوب، فالقرآن حبل الله المتين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة ينزل عليه القرآن يغرس في قلوب الناس العقيدة الصحيحة ويحارب الأوهام والشرك والخرافات التي كانت سائدة بين العرب. ولقلة العناية بهذا الجانب الإعجازي من طرف المهتمين والباحثين رغم أهميته حاول الباحث استجلاء هذا الوجه من الإعجاز في تقرير الإيمان بالله تعالى وترسيخ أحكام شريعته في القلوب، وذلك من خلال الواقع التاريخي للأمة الإسلامية، فقد ثبت من خلال الاستقراء أن للقرآن الكريم تأثيراً على سامعيه من خلال سلطانه القاهر العجيب الذي يؤثر في القلوب المؤمنة والقلوب الكافرة على حد سواء. فما أن يقرأ الإنسان آيات من الذكر الحكيم أو يسمعها تتلى عليه حتى يستشعر لها في نفسه وقعاً يخبره أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله تعالى لإعجاز الفصحاء والبلغاء، ليس لذات التعجيز لكن للدلالة على صدق الدعوة، فينتقل السامع من الشعور بالعجز إزاء المعجزات إلى الشعور بأنها صادرة عن الإله القادر لحكمة عالية وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة ويحس لها في قلبه تأثيراً خاصاً وسلطاناً عجباً يؤثر في القلوب المؤمنة والقلوب الكافرة على حد سواء وذلك لإعجازه للفصحاء والبلغاء.



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين.
وبعد؛ فإن من إعجاز القرآن الكريم أن يظل مرجعاً للدارسين من العلماء والباحثين جيلاً بعد جيل، ثم يبقى أبداً رحب المدى سخي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح، عالياً يفوق طاقة الدارسين^(١).

وهكذا تابعت الأجيال تغترف من معين كلام العلي العليم الذي لا ينضب، وتنهل من غزارة معانيه وفوائده التي لا يعدها العادون، ولا يحيط بها العالمون، ولا يستقصيها الباحثون، كل من مجاله وتخصصه، مع قوة فهمه وحده ذكائه إلا أن الكل يقف منبهاً أمام إعجاز كلام وصفه قائله ومنزله تعاضمت قدرته وظهرت حكمته: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢).

في قوم بلغوا من الفصاحة والبلاغة أرقى أنواعها كلف محمد عليه الصلاة والسلام أن يستعد لإلقاء الرسالة الإلهية لينشر التوحيد والخلق المستقيم والعبادة الخالصة لله تعالى بين الناس، فتقدم محمد للدعوة إلى ربه معتمداً على أمرين بعد تأييد الله تعالى له وإعرازه.

اعتمد أولاً - على الحق الذي يدعو إليه، فالحق ذاته قوة لا تعدلها قوة عند النفوس التي لم تتعوج بمفاسد العصبية، أو التقليد المصمم عن الحق، فذكر لهم التوحيد، ونبههم إلى أن الأوثان لا يعقل أن تعبد وهي حجارة وأشجار وغيرها من أمور يصنعها البشر لا تضر ولا تنفع، فبين ذلك محمد ﷺ بأكمل وجه.

واعتمد ثانياً - مع نور الحق في ذاته على نور القرآن المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو يدعوهم إلى هجر عبادة الأوثان، ويقرأ عليهم القرآن الكريم، ففي دعوة الحق وفي القرآن البرهان القاطع والضوء اللامع^(٣).

ولما كان للإعجاز التأثري هذه المكانة العظيمة بين أوجه إعجاز القرآن الكريم وشدة وقعه على النفوس وتأثيره في القلوب وأسره للعقول، مع قلة العناية بهذا الجانب من الإعجاز من المهتمين والباحثين.

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق عائشة بنت الشاطي: ١٧. تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ط. دار المعرفة بمصر

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٣) ينظر المعجزة الكبرى لأبي زهرة: ٥٠. ط: دار الفكر العربي

وإذا كانت أوجه إعجاز القرآن قد كثرت اختصاصاتها وتعددت مجالاتها، فيمكن التساؤل عن ما هو موقع الإعجاز التأثري منها؟ وأين تتجلى خصوصية وأهمية هذا النوع من الإعجاز؟ ثم كيف يمكن استجلاء مقصد هذا الوجه من الإعجاز في تقرير الإيمان بالله تعالى وترسيخ أحكام شريعته في القلوب؟ نظرا لهذه التساؤلات وأمثالها ارتأيت تقسيم مواد هذا البحث على النحو الآتي المقدمة.

- المبحث الأول - الإعجاز التأثري للقرآن الكريم المفهوم والنشأة.
- المبحث الثاني - تأثير القرآن الكريم على المعاصرين لنزول الوحي.
- المبحث الثالث - تأثير القرآن الكريم على الملائكة والجن.
- الخاتمة.

هذا وارجو ان اكون قد وفقت في بحثي هذا خدمة لطالبي العلم في هذا المجال واسأل الله ان يوفقني وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



تمهيد

أثر القرآن الكريم في العقيدة الإسلامية وتثبيتها

للعقيدة الإسلامية أهمية كبرى، ومكانة عظيمة في حياة الإنسان، نظراً إلى المهمة التي تقوم بها، والآثار الرفيعة التي تخلفها في حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً، لأنها تقوم على أسس يقينية ثابتة، ومبادئ علمية حقيقية، وإليك بعض آثار العقيدة الإسلامية :

١ - العقيدة الإسلامية تعطي الفكرة الصحيحة عن الإنسان والكون والحياة :

فالإنسان في عقيدة الإسلام هو خليفة الله في الأرض ليعمرها، ويقيم الحياة الإنسانية على إرجائها فالإنسان هو سيد هذه الأرض، يستمد سيادته من ربه الذي منحه هذه السيادة، وهو مؤهل لهذه السيادة بالعقل الذي منحه الله تعالى إياه . والكون بجميع إجرامه وقواه وقوانينه هو مصنوع لخدمة هذا الإنسان، مهياً لمنفعته، ولقد ابتدعته قدرة الله تعالى على نظام يساعد النوع الإنساني على استبقاء حياته على ظهر الأرض إلى الأجل الذي ضربه الله لبقاء الحياة على ظهر الأرض، وذلك عند ما يرث الأرض وما عليها . فما على الإنسان إلا أن يعمل عقله ويشحذ تفكيره للتوصل إلى الطريقة التي يستخدم بها هذا الكون لمنفعته، وبذلك استطاعت العقيدة الإسلامية أن تجعل الطبيعة خاضعة مطيعاً، بدلاً من أن تجعلها آلهة يعبد، فأنقذت الإنسان من الخرافة والذعر والرغبة من قوى الطبيعة . وإما الحياة على الأرض فهي في نظر العقيدة الإسلامية طريق إلى الحياة الأبدية والبقاء السرمدي الخالد الذي ينشده الإنسان، فما على الإنسان في هذه الأرض إلا أن يسير في الطريق المستقيم، ويخضع لأمر الله، ويخلص له حتى يضمن لنفسه الخلود الصحيح الذي ينشده^(١) وبما أن العقيدة هي الإيمان فلهذا كان للإيمان صلة وثيقة بالأخلاق، وهذا بدليل قول النبي ﷺ : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٢)، وبهذا قال الإمام ابن القيم (رحمه الله) : «الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك

(١) ينظر : العقيدة الإسلامية (أركانها، حقائقها، مفسداتها) : ٦٠٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق : شعيب الارنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م : ١٢ / ٣٦٤، رقم الحديث (٧٤٠٢)، وقال عنه : حديث صحيح، واسناده حسن .

في الدين»^(١). وبذلك حملت العقيدة الإسلامية الإنسان على العمل الصالح، والانتفاع من هذا الكون على الوجه المشروع، والارتقاء إلى قمة السعادة، والسير في طريق الايجابية، وما أحوج الإنسان إلى ذلك !

٢- العقيدة الإسلامية تحارب الأوهام والخرافات :

في إمكاننا أن نحكم على اثر العقيدة الإسلامية في الحياة الإنسانية وذلك من خلال الواقع التاريخي للأمم الإسلامية التي اعتنقت هذه العقيدة السليمة وعاشت بها في دنيا الواقع. فقد كان الإنسان القديم في بعض حقب التاريخ يؤله قوى الطبيعة، ويدين لها بالعبودية، ويقدم لها القرابين ليسلم من تسلطها وإذاها، أو ليستدر عطفها وخيرها. لكن العقيدة الإسلامية حررتة من هذه الخرافات عندما أفهمته : أن ما يعده آلهاً إن هو إلا خادم مخلص عندما يعرف الطريق إلى استخدامه، والاستفادة منه، وبها ارتقى التفكير الإنساني من مال الخرافة، والأساطير إلى التأمل العلمي، والمشاهدة الصحيحة، والتجربة المنتجة، ليصل بذلك إلى أدراك الحقيقة، وليحقق استخلاف الله له على الوجه الصحيح، وما أحوج الإنسان إلى ذلك !

٣- العقيدة الإسلامية تلبى الحاجات النفسية :

شعور الإنسان بأن له آلهاً خالقاً أمر فطري، وتطلعه إلى معرفته، والاتصال به، ومناجاته، والالتجاء إليه، حاجة نفسية، فإذا لم تلب له هذه الحاجة سعى هو إلى تلبيتها، وكثيراً ما يخطئ الطريق إلى ذلك، فالعقيدة الإسلامية ليست متوناً تردد أو نصوصاً تحفظ، بل هي واقع عملي يوثق الصلة بين العبد وخالقه فأخرجته بذلك من الانحراف والتخبط، وما أحوج الإنسان إلى ذلك !

٤- العقيدة الإسلامية تشعر الإنسان بالمسؤولية :

كثير من الناس يقصرون في أعمالهم لشعورهم بأنهم غير مسؤولين عما يقومون به من أعمال، فشعور الإنسان بأنه مسؤول، هو أعظم حافز للإنسان إلى أن يجيد عمله ويتقنه، لاسيما إذا ضمنا إلى ذلك شعوره بدوام المراقبة له . فنرى أن الإنسان إذا سلمت عقيدته مع خالقه نراه يخشى كل عمل وخلق سيء فيحارب نفسه ويخشى ربه ويجعل الله رقيباً عليه في كل شيء، إما إذا كانت عقيدته فاسدة، فإننا نراه يعمل ما تملي عليه نفسه وما يميل عليه هواه، قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾^(٢)،

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت : ٧٥١هـ)، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادى : ٢ / ٢٩٤، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي أبو طاهر (ت : ٨١٧هـ)، تحقيق : محمد علي النجار، ٢ / ٥٦٨، المجلس للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الاسلامي - القاهرة، بلا : ط .
(٢) سورة الفرقان، الآية : ٤٣ .

والعقيدة الإسلامية جعلته أي (الإنسان) يؤمن باليوم الآخر، وما يقع فيه من بعث، وحشر، وحساب، وجزاء، وهي أكبر عامل على شعور الإنسان بالمسؤولية أمام من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، فيندفع بذلك إلى اشرف وأنبل الأعمال.

٥- العقيدة الإسلامية تنقذ الإنسان من استعباد الإنسان :

إذ أنها جعلت البشر جميعاً عباداً لله الواحد، وهم مخلوقون له وحده، فإن الله عز وجل جعل الإسلام ديناً عادلاً في جميع أحكامه وفي جميع جوانب الحياة المختلفة، فجميع بني آدم تحت ظله متساوون في جميع الأحكام والحقوق والواجبات، فهم سواسية أمامه حاكمين ومحكومين، لله رب العالمين^(١).

* المطلب الأول: مفهوم الإعجاز التأثري

أولاً : مفهوم الإعجاز والمعجزة

أ. مفهوم الإعجاز: يقصد بالإعجاز لغة: عجز الإنسان: مُؤَخَّرُهُ، وبه شُبَّهَ مُؤَخَّرُ غيره. قال تعالى: والعجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر، أي: مؤخره، كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة.

وفي الاصطلاح مفهوم إعجاز القرآن: هو إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به. وهذا التعجيز ليس مقصوداً لذاته بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول ﷺ الذي جاء به رسول صدق، وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز ولكن لازمه وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله، فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر لحكمة عالية وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة^(٢).

ب. مفهوم المعجزة لغةً: هي اسم فاعل من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبّر^(٣).

والمعجزة في الاصطلاح: هي أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتحدي، سالمٌ عن المعارضة، يظهر على يد مدعي

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية (أركانها، حقائقها، مفسداتها): ٦٠٢ - ٦٠٣.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار احياء التراث العربي، بيروت. الزرقاني: ص ٥٥٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ط: ٣. دار صادر بيروت: ١٤١٤ هـ: «مادة عجز»: ٥ / ٣٦٩، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي: ١ / ٦٥.

النبوة موافقاً لدعواه^(١).

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: المعجزة واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة. ولا بد للمعجزة أن تكون خارقة للقوانين الكونية المعتادة، والنواميس الكونية الثابتة، كعدم إحراق النار، وقلب العصا إلى حية، وإحياء الناس بعد موتهم، وتحمل المعجزة بين ثناياها رسالة إلى العقل الإنساني فهو عندما يقبل دلائلها يؤمن فوراً بصدق الرسول، وتثبت نبوته^(٢).

وقد بين الإمام الجرجاني رحمه الله طريقة إثبات كون القرآن معجزاً بقوله: وكون القرآن معجزاً أن نقول تحدى به ولم يعارض فكان معجزاً، أما أنه تحدى به فقد تواتر بحيث لم يبق فيه شبهة، وآيات التحدي كثيرة، وأما أنه لم يعارض فلا أنه لو عارض لتواتر لأنه مما توفرت الدواعي إلى نقله، سيما والخصوم أكثر عدداً من حصي البطحاء وأحرص الناس على إشاعة ما يبطل دعواه^(٣).

ثانياً: مفهوم الإعجاز التأثري:

أ. الإعجاز التأثري: هو مركب إسنادي من الاعجاز والتأثري من أثر الشيء أي حصول ما يدل على وجوده، يقال: أثر الشيء وأثر، والجمع: آثار. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾^(٤)، ويقول: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾^(٥). ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدم آثار نحو قوله تعالى: ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾^(٦) وقوله: ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾^(٧).

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي: ١١٦/٢. ومعجم لغة الفقهاء لرواس قلعجي وصادق قنيبي: ٤٣٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١ / ١٧٠، و٦٩.

(٣) شرح المواقف للجرجاني: ٣ / ٣٨٩ تحقيق: عبدالرحمن عميرة ط: دار الجليل ١٩٩٧

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٥) سورة الروم: الآية ٥٠

(٦) سورة الصافات: الآية ٧٠.

(٧) سورة طه: الآية ٨٤.

وأثرت البعير: جعلت على خفه أثرة، أي: علامة تؤثر في الأرض ليستدل بها على أثره، وتسمى الحديد التي يعمل بها ذلك المثرة^(١).

ب. الإعجاز التأثري للقرآن الكريم من جهة الاصطلاح: معناه أن القرآن الكريم له تأثير بأسلوبه على سامعيه من خلال سلطانه القاهر العجيب الذي يؤثر في القلوب المؤمنة والقلوب الكافرة على حد سواء. فما أن يقرأ الإنسان آيات من الذكر الحكيم أو يسمعها تتلى عليه فيحس لها في نفسه وقعاً خاصاً ويحس لها في قلبه تأثيراً خاصاً وسلطاناً عجيباً لا يكون لغير آيات القرآن الكريم^(٢).

* المطلب الثاني: نشأة الإعجاز التأثري وبداية ظهوره

* أولاً: نشأة الإعجاز التأثري كممارسة عملية :

لقد ظهر شأن إعجاز القرآن مع بداية تنزله على سيدنا رسول الله ﷺ لأن الله تعالى أنزله بلسان عربي مبين لإنذار أمة عربية تفخر بلغتها وتباهي ببلاغتها، أمة تعد من ينظم أجود الشعر، أو يرتجل بليغ الكلام أفضل القوم وأشرفهم، حتى أقامت للشعر أسواقاً وللخطابة مجامع، فكانت تعقد المسابقات البيانية في موسم الحج في الأسواق التي كانت مشهورة في ذلك الزمان، والتي تعتبر مثل المعارض الكبرى في عصرنا الحاضر، ومن أشهر تلك الأسواق سوق عكاظ، ومجنة، وذو المجاز، فقد كانت فيها تجارة المادة، وتجارة البيان معاً، فقد كان في الأولى زاد الجسم، وفي الثانية زاد النفس، كما ظهر ذلك في الشعر ومسابقاته، والقصائد الشعرية التي عرفت بالمعلقات وكانت تعلق في أستار الكعبة وهذا يبرز لنا بوضوح قيمة الفصاحة والبلاغة التي وصلوا إليها.

وإلى هذا يشير العلامة محمد أبو زهرة^(٣) رحمه الله بقوله: لو أنك وازنت بين العرب وغيرهم ممن هم في مثل حالهم من البداوة الغالبة، لو جدتهم في السماك الأعزل، وغيرهم في الحضيض الأوهـد، فلا يزال الحاضرون من غير العرب يجدون في شعر زهير بن أبي سلمى حكمة البيان الشعري، وفي شعر امرئ القيس قوة الوصف وفورة الشباب، وفي شعر عنتره قوة البأس ولطف التشبيب والغزل، وفي شعر طرفة قوة النفس الثائرة، وهكذا لو وازنت بين هذه الآثار وما بقي من شعر اليونان والرومان، لو جدتها لا تقل

(١) مفردات القرآن للأصفهاني: ٦٢.

(٢) الإعجاز التأثري في القرآن الكريم عصام العبد: ٥. مقال منشور في مجلة الجامعة الإسلامية غزة العدد الثاني المجلد ١١ الصفحة: ٨٤

(٣) هو محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة، (ت ١٩٧٤م) عالم ومفكر وباحث وكاتب مصري من كبار علماء الشريعة الإسلامية والقانون في القرن العشرين، ينظر الويكيبيديا.

عنها في إحكام الفكرة، وسلامة التفكير، ولكن تزيد عليها في حلاوة النغم، وتساوق الفكر، وتأخي الألفاظ مع المعاني^(١).

ومما لا شك فيه أن أعظم المعجزات التي أيد الله بها نبيه ﷺ معجزة القرآن الخالدة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم عليم، نزل بلسان عربي مبين لإندار أفصح العرب وأعلمهم بالبلاغة والبيان، الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢). فخاطب الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام أن يتحدى به الثقلين على أن يأتوا بمثله فقال: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٣). ومنهج القرآن الكريم في تحدي المعاندين جاء على جهة التنزل من الأعلى للأدنى، فبعد تحدي الثقلين معا تحدى مشركي العرب الذين قالوا بأنه كلام مفترى من عند محمد أن يفتروا كلاما مثله فقال عز من قائل: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٤).

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٥).

كأنه يقول: إن ادعيتم أن هذا القرآن من نظم محمد ﷺ وعمله فاعملوا عشر سور من جنس نظمه، فإذا عجزتم بأسركم عن ذلك فاعلموا أنه ليس من نظمه ولا من عمله^(٦). فما استطاعوا لذلك سبيلا، فتحدهم بالمجيء بمثل أكبر سورة من سورة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٧). فما قدروا فجاء التحدي بأن يأتوا بمثل أقصر سورة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٨).

(١) المعجزة الكبرى - القرآن لأبي زهرة: ٤٨. ط: دار الفكر العربي

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٤) سورة الطور: الآية ٣٤.

(٥) سورة هود: الآية ١٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٦٩. تفسير الامام القرطبي: تحقيق احمد البردوني و ابراهيم اطفيش ط: دار الكتب المصرية طبعة الثانية ١٣٨٤هـ

(٧) سورة يونس: الآية ٣٨.

(٨) سورة البقرة: الآية ٢٣.

ومع ذلك وقفوا عاجزين يتواصون فيما بينهم بعدم الاستماع إليه لأنهم يعلمون صدقه وبلاغته وفصاحته، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ (١).

فهذه الآيات الكريمة تعتبر أعظم آيات التحدي في القرآن الكريم، وقد عجز المخاطبون بها أن يأتوا بشيء يعارض هذا القرآن، بل قد ثبت أن كل من سولت له نفسه من زعماء الكفر إبان نزول القرآن وقصد الرد عليه، وقف مبهوراً أمام ما يجده من آثار في نفسه ووقع في قلبه، من شدة تأثره بهذا القرآن الكريم العظيم، وقد لجأ رسول الله ﷺ لإعجاز القرآن التأثري كوسيلة أساسية من أسس الدعوة إلى الإسلام، وظهور أثر هذه الوسيلة الفعال في كل من استعملت معه، إما قبولاً واعتناقاً للإسلام أو نفوراً وإعراضاً عنه أو إقراراً لإعجاز القرآن في حاله، وخلاصة القول أن الإعجاز التأثري للقرآن الكريم في هذه المرحلة يتمثل في الممارسة الفعلية والسلوك العملي (٢).

* ثانياً: بروز الإعجاز التأثري على طاولة الدرس كوجه من أوجه إعجاز القرآن :

كشأن كل العلوم في البدايات الأولى قبل عصر التدوين وبداية التأليف فيها، ووضع العلماء لأسسها وضوابطها ومناهجها، تكون متناقلة بين أهلها عن طريق التلقي والمشافهة، وهي عبارة عن مجموعة متداخلة ومتراصة لا يظهر الفصل بينها، إلى أن أشرق نور التأليف وجاء عصر التدوين وبدأ العلماء يكتبون كلا حسب اختصاصه، هذا في التفسير، وذاك في الحديث، وآخر في الفقه وأصوله، وأولئك في بعض جزئيات علوم القرآن كالنسخ والمنسوخ.. وهكذا اتجه كل للكتابة في الفن الذي يوجده، والعلم الذي يتقنه، وهذا ما يفسر تأخر تدوين فن إعجاز القرآن الكريم إلى مطلع القرن الثالث الهجري حين ظهرت مشكلة القول بالصرفه، مما دعا النقاد من العلماء إلى التصدي للرد عليها فكتبوا في بيان وجوه إعجاز القرآن الكريم والانتصار له كتباً كثيرة ومؤلفات عديدة، وكان التركيز على الجانب البياني منه بالخصوص، إلا أن بعض العلماء ممن كان لهم باع واسع، وجهد كبير في هذا الجانب لم يقتصر على ذلك بل أضاف وجوهاً جديدة يبرز فيها جانب عظيم من جوانب إعجاز القرآن الكريم، يكون أعم وأفيد من غيره.

ومن أولئك الأعلام البارزين الذين سطع نجمهم في ذلك الإمام الخطابي رحمه الله، فقد ذكر ما قيل في شأن وجه إعجاز القرآن من أقوال مناقشاً لها مع زيادة وجه جديد أشار له بقوله: «قلت في إعجاز القرآن وجهها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة في القلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة

(١) سورة فصلت: الآية ٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١ / ١٧٠.

والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها^(١).

فالإمام الخطابي يحدد مفهوم هذا النوع من الإعجاز بتأثيره في النفوس وصنيعه في القلوب، ولا يوجد كلام له نفس تأثير القرآن الكريم، شهد له بذلك العدو قبل الصديق على حد تعبيره: «فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمتهم ويدخلوا في دينه وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم إيماناً»^(٢).

وهكذا نجد الخطابي قد استوعب ما قاله سابقوه في وجه الإعجاز وعمق مفهوم النظم القرآني بإضافات جديدة ومعاني لطيفة سديدة^(٣).

ومن أبرز العلماء الذين كان لهم عظيم الأثر في ميدان إعجاز القرآن ذاك هو الإمام الباقلاني^(٤) رحمه الله حيث نص على هذا الوجه في معرض حديثه عن وجوه إعجاز القرآن الكريم بقوله: «...أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذها الاسماع وتشوف إليها النفوس، ويرى وجه رونقها باديًا، غامرا سائر ما تقرر به، كالدرة التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في واسطة العقد»^(٥).

ومن أشار إلى الإعجاز التأثري من المتقدمين الإمام القاضي عياض السبتي المغربي^(٦) رحمه الله موضحا

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن الرسائل الثلاث: للرماني والخطابي والجرجاني: ٧٠.

(٢) بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن الرسائل الثلاث: للرماني والخطابي والجرجاني: ٧٠.

(٣) مباحث في إعجاز القرآن: ٧٢. لمصطفى مسلم ط: ٣ دار القلم ٢٠٠٥م

(٤) الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد البصري ثم البغدادي، أبو بكر، المعروف بالقاضي الباقلاني ولد بالبصرة سنة ٣٣٨ هـ، انتصر لمذهب الأشاعرة، وانتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في وقته، له مصنفات منها إعجاز القرآن وهداية المسترشدين في علم الكلام توفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠ ومعجم المؤلفين ١٠/ ١٠٩.

(٥) إعجاز القرآن للباقلاني: ٧١. تحقيق: أحمد صقر ط: ٥ دار المعارف مصر: ١٩٩٧م

(٦) القاضي عياض: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى بن عياض العلامة اليحصبي السبتي المالكي محدث، حافظ، مؤرخ، ناقد، مفسر، فقيه، أصولي، شاعر خطيب، عالم بالنحو واللغة، وكلام العرب وأيامهم وانسابهم، ولي قضاء سبتة مدة، ثم قضاء غرناطة، وصنف التصانيف البديعة، وكان إماما في علوم شتى، مفرطاً في الذكاء، توفي سنة (٥٤٤ هـ). ينظر: شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ٤/ ١٣٨. و بغية الملتبس للضبي ٤٢٥. و مرآة الجنان لليافعي ٣/ ٢٨٧. و البداية =

إياه بقوله : «ومنها: أي من وجوه إعجازه القرآن الكريم - الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعترهم عند تلاوته لقوة حاله وإنامة خطره، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرَتْ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ، وَلَوْ عَلَى أَذْبَرِهِمْ نَفُورًا ﴾ (٤٦) ﴿ (١)».

ويودون انقطاعه لكرهتهم له، وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به، قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٢٣) ﴿ (٢)»... إلى أن قال : ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره، كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقلت له مم بكيت قال للشجاء والنظم، وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر (٣).

ولم يكن الإمام الزركشي (٤) رحمه الله بمعزل عن هؤلاء فلم يغفله عند ما وضعه في قالب جميل وبينه بيانا واضحا بقوله: «فمنها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقرين والجاحدين، ثم إن سامعه إن كان مؤمنا به فبداخله روعة في أول سماعه وخشية ثم لا يزال يجد في قلبه هشاشة إليه ومحبة له وإن كان جاحدا وجد فيه مع تلك الروعة نفورا وعيا لانقطاع مادته بحسن سمعه» (٥).

كما تحدث عن الإعجاز التأثري جماعة من المتأخرين، ومن الذين أسهبوا في الحديث عنه الشيخ عبد العظيم الزرقاني رحمه الله حيث عنوانه بقوله :- الوجه الرابع عشر: تأثير القرآن ونجاحه - ثم شرع في تبينه

= والنهاية لابن كثير ١٢ / ٢٤١. وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ١٣٠٤.

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٦.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ١ / ٥٢٩. ط: ٢ دار الفيحاء - عمان: ١٩٧٦ م

(٤) الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، أصولي فقيه محدث، من تصانيفه: البحر المحيط وتشنيف المسامع بجمع الجوامع، كلاهما في أصول الفقه، وله شرح على الأربعين للنووي، توفي سنة (٧٩٤). ينظر الدر الكامنة ٤ / ١٧ - ١٨، شذرات الذهب ٦ / ٣٣٥.

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢ / ١٠٦. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: ١ دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ١٩٥٧

والحديث المفصل عنه فقال: ومعنى هذا أن القرآن بلغ في تأثيره ونجاحه مبلغاً خرق به العادة في كل ما عرف من كتب الله والناس. وخرج عن المعهود في سنن الله من التأثير النافع بالكلام وغير الكلام. وبيان ذلك أن الإصلاح العام الذي جاء به القرآن والانقلاب العالمي الذي تركه هذا الكتاب، ما حدث ولم يكن ليحدث في أي عهد من عهود التاريخ قديمه وحديثه إلا على أساس من الإيمان العميق القائم على وجدان قوي، بحيث يكون له من السلطان القاهر على النفوس والحكم النافذ على العواطف والميول، ما يصد الناس عن نهجهم الأول في عقائدهم التي توارثوها، وعبادتهم التي ألفوها، وأخلاقهم التي نشؤوا عليها، وعاداتهم التي امتزجت بدمائهم.

إلى أن قال: هذا التأثير الخارق أو النجاح الباهر الذي نتحدث فيه، أدركه ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وإمعان ونصفة، حاذقاً لأساليبه العربية، ملماً بظروفه وأسباب نزوله، أما الذين لم يحدقوا لغة العرب ولم يحيطوا بهذه الظروف والأسباب الخاصة، فيكفيهم أن يسألوا التاريخ عما حمل هذا الكتاب من قوة محولة غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك، وعن طريق استيلائها على قلوب المخاطبين به لأول مرة استيلاء أشبه بالقهر وما هو بالقهر، وأفعل من السحر وما هو بالسحر، سواء في ذلك أنصاره وأعداؤه، ومخالفوه! وما ذاك إلا لأنهم ذاقوا بسلامة فطرتهم العربية بلاغته، ولمسوا بحاستهم البيانية إعجازه؛ فوجد تياره الكهربائي موضعاً في نفوسهم لشرارة ناره، أو لهطول غيثه وانبلاج أنواره^(١).

إن الإعجاز التأثري في دراسة المهتمين بمجال الإعجاز له مكانته، تنبه إليه جهابذة المتقدمين فأولوه عنايتهم، وبرز في حديث المتأخرين فأعطوه اهتماماً كبيراً، وتحدثوا عنه حديثاً مطولاً مفصلاً، ولا يسع المقام لعرض آرائهم وترجيحها فلذلك محل آخر يأتي في مستقبل الأيام إن شاء الله، ومقصودي بهذا البحث التأكيد على أهميته من أجل التنبيه لدراسته وبحثه، مع إبراز نماذج ممن تأثروا بالقرآن الكريم، وأسلموا إيماناً به، أو سلموا بصدقه ولم يتركهم عنادهم كي يؤمنوا به ويدعوا لما فيه.



(١) مناهل العرفان في علوم القرآن: ٦٠٩.

(٣) سورة الجن: الآية ١

فيأخذ الرسول من تكرارها في سرّه ويُردّها خلف جبريل عليه السلام مخافة أن ينساها لشدة حرصه على القرآن. فنهاه الله عن هذه العجلة أي: لا تتعجل، ولا تشغل بال تكرار والترديد، فسوف يأتيك نُصجها حين تكتمل، فلا تحش أن يفوتك شيء منه طالما أنني تكفّلت بحفظه؛ لذلك يقول له في موضع آخر: ﴿سُنْقِرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (٦) (١). فاطمئن ولا تقلق على هذه المسألة؛ لأن شغلك بحفظ كلمة قد يفوت عليك أخرى (٢). ومن تأثره عليه أفضل الصلاة والسلام بالقرآن الكريم بكاؤه ﷺ عند سماعه، كما ورد عن عبد الله بن مسعود (٣) رضي الله عنه قال: «قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإنّي أحب أن أسمع من غيري فقرأت عليه سورة النساء، حتّى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤) (٤). قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان» (٥).

* ثانيا: تأثير القرآن الكريم في المؤمنين به :

عندما نتبّع أثر القرآن الكريم فيمن سمعه وتدبره من البشر فإننا نجد أن أول من يتأثر بكلامه هم من تلقّوه غدا طريا من فم رسول الله ﷺ من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ومن أتى بعدهم من الصالحين الذين آمنوا به وصدقوه، وقد وصف الله تعالى حالهم بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) (٦).

يقول سيد قطب رحمه الله: «إنها الارتعاشة الوجدانية التي تتاب القلب المؤمن حين يذكر الله في أمر أو نهي، فيغشاه جلاله، وتتنفّض فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته إلى جانب تقصيره هو وذنبه، فينبعث إلى العمل والطاعة» (٧). ومن هذا التأثير العظيم على المؤمنين سجودهم وخشوعهم من شدة وقعه على قلوبهم،

(١) سورة الاعلى الاية ٦

(٢) تفسير الشعراوي - الخواطر : ١٥ / ٩٤١٠ ط: مطبعة اخبار اليوم ١٩٩٧م

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، الإمام الخبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، المكي، المهاجري، البصري، حليف بني زهرة. كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علما كثيرا، كان ابن مسعود صاحب سواد رسول الله - يعني سره - ووساده - يعني فراشه - وسواكه، ونعليه، وطهوره، وهذا يكون في السفر مات ابن مسعود بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين. ينظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١/ ٤٦١ وما بعدها.

(٤) سورة النساء : الآية ٤١.

(٥) صحيح البخاري : ٦ / ٤٥. رقم : ٤٥٨٢.

(٦) سورة الأنفال : الآية ٢.

(٧) في ظلال القرآن : ٣ / ١٤٧٠. لسيد قطب دار الشروق

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٥). يقول العلامة ابن كثير^(٢) رحمه الله: «إنما يؤمن بآياتنا: أي يصدق بها الذين استمعوا لها وأطاعوها قولاً وفعلاً وسبَّحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون عن اتباعها والانقياد لها. ويعني بتجاني جنوبهم عن المضاجع: قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة يدعون ربهم خوفاً من وبال عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه»^(٣). إن تأثر النبي ﷺ، والمؤمنين بالقرآن الكريم يذكر منه الشيء الكثير، وقد نصت آيات كثيرة، ووردت أحاديث متعددة، وقصص مؤثرة، كلها تبرز حالهم عند استماعهم للقرآن وخشوعهم عند تدبره، فيزدادون إيماناً على إيمانهم، ويخرون لله سجداً إذعانا لعظمته، وتصديقا لكلامه، وعملاً بتنزيله، يقومون الليل حتى تتورم أقدامهم، ويكون حتى تبطل لحاهم، وما ذاك إلا لشدة وقع هذا القرآن العظيم على قلوبهم، وأسره لأرواحهم.

* المطلب الثاني: تأثير القرآن الكريم على الكافرين والمعاندين

أولاً: نماذج ممن أسلم متأثراً بالقرآن الكريم:

* أ. إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

الفاروق عمر وما أدراك ما عمر، تهابه حتى الشياطين، جبار في الجاهلية، أسد في الإسلام، لكنه لم يتهالك نفسه وهو يسمع القرآن، يقع في قلبه موقعا لا ينفع معه إنكار، تعددت الروايات في قصة إسلامه إلا أنها كلها ترجع كلها إلى تأثره بالقرآن، وخلاصة الروايات مع الجمع بينها- في إسلامه رضي الله عنه أنه التجأ ليلة إلى المبيت خارج بيته، فجاء إلى الحرم، ودخل في ستر الكعبة، والنبي ﷺ قائم يصلي وقد استفتح سورة «الحاقة» فجعل عمر يستمع إلى القرآن، ويعجب من تأليفه، قال: فقلت- أي في نفسي- هذا والله شاعر كما قالت قريش. قال: فقرأ: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ (٤١). قال: قلت: كاهن. قال: وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ. قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. قال فوقع الإسلام في قلبي. كان هذا أول خيط من خيوط الإسلام يقرع سمعه ويصل صداه إلى أعماقه، ويختلج قلبه بالأحاسيس، غلا

(١) سورة السجدة: الآية ١٥.

(٢) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤٥٩ / ٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٥٩ / ٣. تحقيق مصطفى عبد الواحد ط: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت: لبنان

(٤) سورة الحاقة: الآية ٤٠ - ٤١.

أنه لم يتخلص بعد من حمية الجاهلية والعنصرية القبلية، فاستمر في عناده، يصارع ما يجد في داخله، ويود قتل نبي الإسلام، مع شدة أذيته لأصحابه. وفي يوم من الأيام يخرج متوشحاً سيفه، يريد القضاء على النبي ﷺ، فلقيه نعيم بن عبد الله النحام العدوي فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة وقد قتلت محمداً؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي كنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر! إن أختك وختنك قد صبوا، وتركنا دينك الذي أنت عليه، فمشى عمر دامراً حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأثرث، معه صحيفة فيها طه يقرئها إياها - وكان يختلف إليهما ويقرئهما القرآن - فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت، وستر فاطمة - أخت عمر - الصحيفة، وكان قد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب إليهما، فلما دخل عليهما قال: ما هذه الهيمنة التي سمعتها عندكم؟ فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما. فقال له ختنة: يا عمر أرأيت إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنة فوطئه وطأ شديداً. فجاءت أخته فرفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها - وفي رواية ابن إسحاق أنه ضربها فشحجها - فقالت - وهي غضبي - يا عمر إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. فلما يئس عمر، ورأى ما بأخته من الدم ندم واستحي، وقال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه، فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل، ثم أخذ الكتاب، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال: أسماء طيبة طاهرة. ثم قرأ: طه حتى انتهى إلى قوله: فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ دلوني على محمد^(١).

ب. قصة إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه:

ورد عنه أنه قال: «ما سمعت بأشعر من أخي أنيس، لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية، أنا أحدهم، وقد انطلق إلى مكة»، وجاء أنيس إلى أبي ذر بخبز النبي ﷺ، فقال أبو ذر: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر كاهن ساحر، لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعته على أوزان الشعر فلم يلتئم، وما يلتئم على لسان أحد، وإنه لصادق وإنهم لكاذبون^(٢).

* ثانياً: نماذج من تأثر القرآن الكريم فسلم بصدقه ولم يؤمن به :

والآن مع نماذج من أخبار من سمع القرآن، وخر بين يديه صاغراً مع شدة العداوة والخصومة، والبقاء على الكفر، والإصرار على الشرك، لقد شعر الكافرون بعجزهم وضعفهم أمام القرآن، وحلاوة أسلوبه

(١) تنظر قصة إسلامه في: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي: ٦-١٠. السيرة النبوية لابن هشام: ٢٩٥/١. بيان إعجاز القرآن للخطابي: ٧٠. الرحيق المختوم: ٨٩.

(٢) المعجزة الكبرى القرآن لأبي زهرة: ٥١. ط: دار الفكر العربي

وعذوبة بلاغته، فتأثروا به تأثراً عظيماً، ويبرهن على هذا التأثير الروايات الآتية :

أ. تأثير القرآن الكريم على ثلاثة من أبرز زعماء قريش : أبي جهل عمرو بن هشام، والأخنس بن شريق، وأبي سفيان بن حرب حال الشرك : لقد استمع ثلاثتهم على مدار ثلاثة أيام متوالية وكانوا في كل مرة يتواعدون على عدم العودة خيفة أن يراهم الناس فيقع في نفوسهم شيء، وكان الذي يدفعهم في كل مرة إلى سماع القرآن هو تأثيره في نفوسهم . فلما سأل الأخنس أبا جهل رأيه فيما سمع من محمد كان جوابه : «ماذا سمعت ؟» تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه !^(١). ولكن العصبية المقيتة والاعتبارات العائلية هي التي تجعل رجلاً كأبي جهل (عمرو ابن هشام) يأبى أن يسلم بالحق الذي يستشعره في الرسالة الإسلامية لأن محمداً ﷺ من بني هاشم وهم ليسوا قومه .

ب. قصة عتبة بن ربيعة : لقد تأثر عندما قرأ الرسول ﷺ على مسامعه صدر سورة فصلت فتأثر بها وذهب إلى قومه متغير الوجه، يذكر أهل التفسير والسيرة أن عتبة قال : يا معشر قريش : ألا أقوم إلى محمد فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء وكيف عنا؟ وذلك بعد إسلام حمزة فقالوا : يا أبا الوليد قم إليه فكلّمه، فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي، إنك منّا حيث علمت من السطة - المنزلة الرفيعة - في العشيرة، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفّتهم أحلامهم وعبت آهنتهم ودينهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً. فقال له ﷺ : «قل يا أبا الوليد أسمع»، قال : يا ابن أخي، إن كنت تريد ما لا جمعنا لك من أموالنا، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، حتى فرغ عتبة، فقال له النبي ﷺ : «فاسمع مني»، فقام عتبة مذعوراً فوضع يده على فم رسول الله ﷺ يقول : أنشدك الله والرحم يا محمد وذلك مخافة أن يقع النذير، وقام إلى أصحابه، فقالوا : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قال : لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فإن يظهر على العرب، فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا : سحر ك يا أبا الوليد بلسانه، قال : هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم^(٢).

(١) سيرة ابن هشام : ١ / ٣١٠. السيرة النبوية لابن كثير : ١ / ٥٠٦. وفي ظلال القرآن : ٨ / ٢١٥.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير : ١ / ٥٩١-٥٠٤. وفي ظلال القرآن : ٨ / ٢٢٧، ٢٢٨.

ج. قصة الوليد بن المغيرة:

الوليد بن المغيرة زعيم من زعماء الكفر والطغيان، ورئيس من رؤساء قريش، له مكانة مرموقة بين العرب، يتكلم فيسمع كلامه، ويشفع فيشفع، ويجير فيكون خير أجير، تلك سمات بارزة من سمات زعماء العرب آنذاك، ورغم كل ذلك إلا أنه ما تمالك نفسه عند ما سمع القرآن يتلى غدا طريا من فم رسول الله ﷺ، ليصفه بصفات عظيمة دون خجل من أن ينقل ذلك عنه، ويشاع بين قومه في مكة. ونأت إلى قصة تأثيره الكبير بكلام الله تعالى، لولا الحمية الجاهلية لكان أسلم! فقد ورد أنه جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فرق له، فبلغ ذلك أبا جهل عمرو بن هشام فأتاه، فقال له: أي عم؟ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال: لم؟ قال: يعطونكه - يريد بذلك استشارة الوليد بن المغيرة - فأجابه الوليد: لقد علمت قريش أنني أكثرها مالا، فقال له لا تقبل قريش منك تبريراً إلا إذا قلت في محمد قولاً، فقال له: وماذا أقول فيه؟ والله إن كلامه لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلوا وما يُعلَى، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه.. قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهْدُتٌ لَهُ ۖ تَمْهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيِنَا عَمِيدًا ۖ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ۖ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قُنِيَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ فَفَالَ إِنَّ هَذَا لِلْأَبْتَرِ بِؤْسٌ ۖ﴾ فنزلت الآيات القرآنية ترسم هذا المشهد وتبين ملامح الوليد بن المغيرة وهو يفكر ويقدر تارة وهو ينظر بعبوس وأخرى وهو مُدبر عن الحق، ويقول: إن هو إلا سحر يؤثر على باقي الأسحار. (١)(٢).

وإذا كان الوليد بن المغيرة وصف القرآن الكريم والنبي الأمين بأنها سحر وساحر، فإن الله تعالى أنزل فيه ستة عشر آية في سورة المدثر، ووصفه بتسعة أوصاف في سورة القلم، لأنه تجرأ فقال بهتاناً من القول وزورا، لذا خلد الله ذكر مساوئه في قرآن يتلى إلى يوم القيامة. هذه القصص التي تتحدث عن أسلم متأثراً بالقرآن الكريم عند سماعه مثل أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما وأمثالهما كثير، أو شهد له بدرجة الكمال وقمة الفصاحة والبيان، ومنعه عناده من التصديق والإيمان به، قد امتلأت بها كتب السيرة والتاريخ والحديث والتفسير، وأكاد أقول إن كل المعاندين من زعماء مكة كانوا يعلمون صدق القرآن وأنه ليس بكلام محمد ولا أي بشر غير محمد، ويتأثرون عند الإنصات إليه غاية الأثر، إلا أن آفة العناد لا تبقي للعقل مجالا للتفكير، ولا للقلب ميدانا للتدبر وسلوك طريق اليقين، يستمعون إلى القرآن الكريم فينبهون بقمة فصاحته وبلاغته، وينصتون إليه فيعلمون أنه ليس من عند محمد ﷺ ويتأثرون به، يتحداهم فيعجزون عن الإتيان

(١) سورة المدثر: الآية ١١-٢٤.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ١ / ٢٤٣.

بأقصر سورة وآياته، لكن هوس الزعامة، وحلاوة الرياسة، وآفة الحمية الجاهلية والعنصرية القبلية تمنعهم من الإيمان به وتصديقه، وصدق الله العظيم عندما قال: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ (٣٣) (١).

* المطلب الثالث: تأثير القرآن الكريم في الملائكة والجن

* أولاً: تأثير القرآن الكريم في الملائكة

ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن خباب (٢) أن أبا سعيد الخدري (٣) حدثه عن أسيد بن حضير (٤) رضي الله عنهم أنه قال: بينما هو ليلة يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضاً، قال أسيد: فخشيت أن تطأ بحبي، فقممت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فأنصرفت، وكان يحبي قريباً منها، خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم» (٥).

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٣.

(٢) عبد الله بن خباب بن الأرت التميمي ذكره الطبراني وغيره في الصحابة وقال عبد الرحمن بن خراش أدرك النبي ﷺ وأن النبي ﷺ سماه عبد الله وقال لخباب أنت أبو عبد الله، قتله الخوارج كان طائفة منهم أقبلوا من البصرة إلى اخواتهم من أهل الكوفة فلقوا عبد الله بن خباب ومعه امرأته فقالوا له من أنت قال أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فأتنى عليهم خيراً فذبحوه فسال دمه في الماء وقتلوا المرأة وهي حامل سنة ٣٧هـ. ينظر الاصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٧٣، اسد الغابة ٣/ ٢٢٥.

(٣) ابو سعيد الخدري هو سعيد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ت (٧٤هـ) كان من علماء الصحابة ومن المكثرين من رواية السنة. ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٤٤، ١/ ٤١٧، وفي الاصابة ٢/ ٣٥.

(٤) اسيد بن حضير بن سمالك الاشيلي من سادات الانصار ممن شهد العقبتين وبدرا وجوامع المشاهد كنيته أبو يحيى وقد قيل أبو عتيق ويقال أبو حضير مات في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن بالبقيع. ينظر مشاهير علماء الامصار ص ٣٣.

(٥) صحيح مسلم: ١/ ٥٤٨. رقم: ٧٩٦.

ثانياً: تأثير القرآن الكريم في الجن

ويظهر تأثرهم بالقرآن الكريم على الجن في مواضع كثيرة نص عليها القرآن الكريم نفسه، أو جاءت في السيرة النبوية الشريفة، فحديث القرآن الكريم عن الجن وإخباره عن استماعهم له وإيمانهم به حديث طويل لدرجة أن سورة كاملة جاءت لحكاية أقوالهم، وبيان ردهم إثر سماعهم للقرآن يتلى من فم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، ومن شدة ازدحامهم لاستماع القرآن من النبي ﷺ شبههم الله تعالى بالشعر المتلبد كما في سورة الجن. ومما ورد في السيرة النبوية أن النبي ﷺ «لما انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة، قام من جوف الليل يصلي، فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تعالى، وكانوا سبعة نفر من جن أهل نصيبين، فاستمعوا لتلاوة الرسول ﷺ، فلما فرغ من صلاته، ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله تعالى خبرهم على النبي ﷺ، فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ﴾ (١) قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢)» (١)(٢).

وفي تفسير هذه الآية يقول سيد قطب^(٣): «ويرسم النص مشهد هذا نفر وهم ما بين ثلاثة وعشرة وهم يستمعون إلى هذا القرآن، ويصور لنا ما وقع في حسهم منه، من الروعة والتأثر والرغبة والخشوع. وتلقي هذه الكلمة ظلال الموقف كله طوال مدة الاستماع، وهذه كتلك تصور الأثر الذي انطبع في قلوبهم من الإنصات للقرآن. فقد استمعوا صامتين متبهمين حتى النهاية، فلما انتهت التلاوة لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم، وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم منه ما لا تطيق السكوت عليه، أو التلكؤ في إبلاغه والإنذار به، وهي حالة من امتلاء حسه بشيء جديد، وحفلت مشاعره بمؤثر قاهر غلاب، يدفعه دفعاً إلى الحركة به والاحتفال بشأنه، وإبلاغه للآخرين في جد واهتمام»^(٤). ما أعظمه من كلام وأصدق من حديث! حتى الجن تستمع له وتؤمن به وتصدق، كانت الجن ألين قلباً من كفار مكة بحيث استمعوا للقرآن وأنصتوا، آمنوا وصدقوا، أسرعوا إلى

(١) سورة الأحقاف: الآية ٢٩، ٣٠.

(٢) السيرة النبوية للصلابي: ١ / ٣٣١. ط: دار المعرفة ٢٠٠٨.

(٣) سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي ولد في ٩ أكتوبر ١٩٠٦ م كاتب و شاعر و أديب ومنظر إسلامي مصري، مؤلف كتاب في ظلال القرآن . وعضو سابق في مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين ورئيس سابق لقسم نشر الدعوة في الجماعة ورئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين توفي سنة ٢٩ أغسطس ١٩٦٦ م . ينظر الويكيبيديا.

(٤) ظلال القرآن: ١ / ٤٢٨. لسيد قطب ط: دار الشروق.

قومهم مبلغين رسالة ربهم، مبشرين ومنذرين، إنه كلام الله المعجز، تحدى العرب والعجم، والإنس والجان، على أن يأتوا ولو بأقصر سورة من مثله، يكون لها هذا البيان المقنع، والإعجاز الذي أذهل العقول، وأسر القلوب، هيهات هيهات، لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أبداً، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَلَوْ هَذَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٤) ﴿١﴾. ومن أصدق من الله قيلاً ومن أصدق من الله حديثاً، سبحانه ما أعظمك !.

* المطلب الخامس: تأثير القرآن الكريم في الغربيين من فلاسفة وعلماء باحثين

فغير خاف على المشتغلين بمجال الإعجاز أنه رغم تطور العلوم، والتقدم التكنولوجي الذي عرفه عالمنا المعاصر، إلا أن موازين القوة لم تختلف فالقرآن ظل شاخاً في تحديه وإعجازه، وقوة تأثيره وإبهاره، وسأستعرض هنا تدليلاً على ما أقول نموذجاً بارزاً من تأثر بالقرآن الكريم فأسلم وأصبح من المدافعين عنه الدارسين لمجال إعجازه. ذاك هو الدكتور جاري ميللر^(٢) المبشر الكندي النشيط وأستاذ الرياضيات والمنطق في جامعة تورنتو، فقد قرر أن يقدم أجل الخدمات للمسيحية عام ١٩٧٧ م، غير أنه وجد نفسه مأسوراً بقوة تأثير القرآن العظيم على النفوس والقلوب، وشدة سطوته على العقول، فانقلب رأساً على عقب من طاعن فيه متمرد، إلى مؤمن به مؤيد، فيكتب كتابه: «القرآن المذهل (المعجز)». دار كتاب الدكتور ميللر بالأساس على البحث عن مصداقية القرآن الكريم، حيث طال حديثه عن هذا الأمر، واستعرض كثيراً من الحقائق المؤكدة على كون هذا الكتاب ليس من عند محمد ولا من الشياطين أو البشر، وتأثر بكثير من أخبار القرآن الكريم ومن الحقائق العلمية التي لا تبقى مجالاً للشك في أن هذا الكتاب هو من عند الله وحده لا دخل للإنس أو جن أو ملك فيه.

وفيما يلي ساقف وقفات مع جملة من نتائج تدبره للقرآن الكريم وتأثره به كما جاء في كتابه السابق الذكر:

١. الوقفة الأولى - القرآن الكريم ومحمد ﷺ :

وقف - الدكتور ميللر - مع الفرضية التي يقول بها الكثير من غير المسلمين بأن القرآن نتاج بشري، فتذكر بعض الموسوعات والكتب على أن القرآن هو نتاج هلوسة كان يمر بها محمد ﷺ، لكن إن سلمنا جدلاً بهذه الفرضية، فما هي الأشياء التي كان يعايشها النبي ﷺ وكان لها انعكاس في نصوص القرآن الكريم؟ أنت ترى أن النبي ﷺ مرت به ظروف قاسية في حياته فكل أولاده توفوا في حياته ما عدا السيدة فاطمة رضي

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٢) عبد الأحد عمر كان مبشر ومنصرّ وواعظ كندي في الكنيسة وبعدها تحول إلى الإسلام، وكان اسمه قبل الإسلام جاري ميلر أو غاري ميلر، موقع المرسال.

الله عنها، وهاهي زوجته خديجة رضي الله عنها تتوفى في أصعب الظروف التي يمر بها النبي ﷺ، وقد كانت بينهما علاقة قوية لدرجة أن يذهب النبي ﷺ ليخبرها بالخوف الذي يجده داخله لحظة نزول الوحي عليه، وهذا أمر ليس من السهل فعله ففي عهد العرب وحتى في زماننا لا تجد رجلاً يذهب ليخبر زوجته بما يشعر به من الخوف، ولكن لا يتم هذا الإخبار إلا إذا كانت هناك علاقة قوية جداً بينه وبين زوجته، وهذا يبين لك مدى قوتها وثقة رسول الله ﷺ بها. ورغم ذلك فإن القرآن الكريم لم ترد فيه مثل هذه الأمور، لا موت بنيه ولا زوجته ولا انفعالاته في بداية نزول الوحي، مع العلم أن هذه الأمور التي عايشها قد آلمته وأحزنته، ولو كان القرآن من نتاجه الشخصي لظهرت انفعالاته النفسية وأمثاله في نصوصه^(١).

٢. الوقفة الثانية: مع الآية الكريمة

وتعقيباً على هذه الآية الكريمة يقول ميللر: ومما لا شك فيه فهناك سمة في القرآن الكريم لا توجد في كتاب آخر، فمن المهم أن نلاحظ حينما يذكر القرآن الكريم معلومات معينة فيقول للقارئ: لا يوجد مخطوط يقول هذا القول، فكلها حينما تذكر موضوعاً تاريخياً قديماً تحدد من أين جاءت بهذه المعلومات... والعجيب أن أهل مكة كانوا في عداوة شديدة مع رسول الله ومع ذلك لم يتجرأ أحد على نقض هذه المعلومات، وأنها ليست جديدة ونحن نعلم من أين أتى بها محمد؟ لم يستطيعوا التحدي ولو بالادعاء^(٢).

٣. الوقفة الثالثة - الوحي وأبو لهب:

نزلت سورة المسد تخبر أن عم الرسول ﷺ وزوجته في النار، وقد عاشا مدة طويلة بعد ذلك وماتا على الكفر - تقدر بعشر سنوات -، فإن لم يكن ذلك وحي من عند الله فما هو التفسير المقنع؟ لما لم يدع أبو لهب وزوجته الإيمان ولو من أجل تكذيب القرآن فقط؟ وهو من البداية يسعى وزوجته لإظهار كذب محمد بأي طريقة، ولكن هذا لم يحدث أبداً^(٣).

٤. الوقفة الرابعة: مصدر القرآن الكريم:

يرى المنكرون للوحي والرسالة أن الشياطين هي التي كانت تملي على الرسول ما جاء به، لكن يأتي الرد على كل من يقول بأن القرآن من عند الشياطين في مواضع من القرآن الكريم: فهل تؤلف الشياطين كتاباً ثم تقول لا أستطيع أن أولفه، بل تقول: هل يعقل أن يكون الشيطان هو الذي كتب هذا الكتاب، ثم يقول للإنسان قبل أن تقرأه فتعوذ مني؟ فهو لاء المعاندون يعرفون أنه حتى لو كان جدلاً أن الشيطان يمكنه كتابة ذلك، إلا أن قدرة

(١) القرآن المعجز: ١٢.

(٢) المصدر السابق: ١٩.

(٣) القرآن المعجز: ٢٥.

الله العلي القدير تمنعه، فما ينبغي له ذلك ولا يستطيع، وبالرغم من ذلك حينما يقرأون الكتاب المعجز يصرون على قول ذلك الإفك^(١).



(١) القرآن المعجز : ٢٧.

الخاتمة

إن الإعجاز التأثري تحدث عنه القرآن الكريم وأشار إليه في مواضع متعددة منها العقيدة الإسلامية والسنة النبوية تبرز لنا نشأته الأولى كسلوك عملي وممارسة فعلية والباحثون في إعجاز القرآن الكريم قديماً وحديثاً أولوا عناية كبيرة بهذا الوجه من أوجه الإعجاز، ويعتبر الإمام الخطابي أول من أشار إليه حسب ما توصلت إليه إن الكثير من الذين أثر فيهم القرآن الكريم لدرجة لم يجدوا معها بدا عن التصديق به والإذعان له، وهناك الكثير ممن تأثروا بالقرآن إلا أن الرياسة والزعامة أعمت بصيرتهم، ومنعهم عنادهم من الإيمان به رغم شهادتهم له كما سجلها التاريخ تأثير القرآن في النفوس وأسرته للقلوب لم يقتصر على زمن نزوله فحسب، بل لم تتغير موازين هذه القوة التأثيرية له تهدف هذه الدراسة إلى إبراز ارتباط. فكانت أهم النتائج من هذه الدراسة هو وجود ارتباط بين الإعجاز العلمي والتأثير في نفس سياق الآية في مواقع كثيرة، وأن ذلك يؤثر في سلوك الإنسان المؤدية إلى رقيه في مجالات شتى عقلاً وسلوكاً وخلقاً.

* ومن مظاهر تأصيل الإنسان بالإعجاز العلمي وتأثيره على العقيدة الإسلامية

- السلوك الراقي الذي يبعد عن الغفلة والنسيان واللامبالاة، ويؤثر في ذهن الإنسان ليكون دائماً متّقداً حاضراً مجتهداً لربط الأمور بعضها ببعض، والقياس عليها.
- يجعل الإنسان إلى استخدام عقله فيبقى واعياً مستبصراً متذكراً الحقيقة العظمى فلا يغفل عنها بأي حال من الأحوال مهما تغيرت الظروف والعصور، أي أن تلك الحقائق العلمية تجعل الإنسان يوقن بقدرة الخالق ووحدانيته، مما يخرج من ظلمات الشرك والجهل، ويعدل سلوكه إلى التوحيد ثم يرتقي به إلى الإنابة.
- التحريض على مهمة سلوكية ترفع الإنسان من شهوات الدنيا وحضيضها إلى علياء كسب مرضاة الله عن طريق بذل النفس والتضحية بها في القتال، واستخدام نعم الله في الخير والصلاح وطاعة الله، وليس للفساد ومعصية الخالق، وهكذا كان له أثراً في أن يرتقي المسلم بارتقائه إلى مستوى العبودية الخالصة لخالقه، والتحرر من العبودية لأي معبود من دونه من طواغيت الأرض فيبعده عن الشرك إلى التوحيد الذي يرفعه ويشرفه.
- يحمل المرء نفسه ويرتقي بها في مدارج الصالحين ففيه رقي أخلاقي سامٍ تحتاجه البشرية في كل زمان ومكان، كإقامة العدل.

- هناك وحدة مقاصدية بين وجوه إعجاز القرآن الكريم وبين أساليبه؛ فهنا توحد المقصد من الإعجاز العلمي مع المقصد العام لأسلوب البيان التعليلي ليحققاً معاً مقصداً سامياً وهو الارتقاء بالإنسان للأفضل دائماً

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٤هـ.
٢. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق عائشة بنت الشاطي للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ط: ٢. دار المعارف.
٣. الإعجاز التأثري في القرآن الكريم عصام العبد مقال منشور في مجلة الجامعة الإسلامية غزة، العدد الثاني، المجلد ١١، الصفحة: ٨٤.
٤. إعجاز القرآن للباقلاقي، تحقيق: أحمد صقر. ط: ٥. دار المعارف - مصر: ١٩٩٧م.
٥. البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: ١. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه: ١٩٥٧م.
٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار. ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: ١٩٩٦م.
٧. بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن الرسائل الثلاث: للرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، ط: دار المعرفة بمصر.
٨. تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي الكتاب طبع في مصر ١٩١٦.
٩. تفسير القرآن العظيم لابن كثير. تحقيق: سامي سلامة. ط: ٢. دار طيبة: ١٩٩٩م.
١٠. جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير للطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ط: ١. مؤسسة الرسالة: ١٤٢٠هـ.
١١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للبخاري. تحقيق: محمد زهير الناصر. ط: ١. دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ.
١٢. الجامع لأحكام القرآن = تفسير الإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط: دار الكتب المصرية. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٣. الخواطر تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي. ط: مطابع أخبار اليوم: ١٩٩٧م.
١٤. الرحيق المختوم للمباركفوري، ط: دار الهلال - بيروت، ط: ١.

١٥. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلاحي، ط: دار المعرفة: ٢٠٠٨م.
١٦. السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
١٧. السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط: ٢. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر: ١٩٥٥م.
١٨. شرح المواقع للجرجاني. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. ط: ١. دار الجيل: ١٩٩٧.
١٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ط: ٢. دار الفيحاء - عمان: ١٩٧٦م.
٢٠. في ظلال القرآن لسيد قطب، ط: دار الشروق.
٢١. القرآن المذهل (المعجز) لعالم اللاهوت روجي ميللر، مترجم للعربية لم أقف على صاحب الترجمة على غلاف الكتاب في النسخة التي اعتمدت عليها.
٢٢. لسان العرب لابن منظور، ط: ٣. دار صادر بيروت: ١٤١٤هـ.
٢٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار احياء التراث العربي، بيروت .
٢٤. مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم، ط: ٣. دار القلم: ٢٠٠٥م.
٢٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي.
٢٦. المعجزة الكبرى - القرآن لأبي زهرة، ط: دار الفكر العربي.
٢٧. معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي. ط: ٢. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٨. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط: ١. دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت: ١٤١٢هـ.



Abstract:

When the effectual miracle had such a great position between the miracles of the Holy Qur'an, the severity of its impact on souls, its effect on hearts and its families with minds, with the light of truth in itself on the light of the Qur'an shown that neither falsehood comes from his hands or behind him, he calls them to abandon idolatry and recite the Holy Qur'an on them And the influence of the Islamic faith because of its importance in a person's life and great effects on his behavior. The Messenger of God (may God's prayers and peace be upon him) stayed in Makkah for thirteen years and the Qur'an descended upon him to plant and clarify the belief and fight the delusions, polytheism and myths that prevailed among Arabs, so what is human His thoughts and emancipated His death cannot go in the way he was drawn for, as a person is guided from inside him, not from outside him. In the call to truth and in the Qur'an, conclusive proof and bright light, with little attention to this aspect of miracles on the part of those interested and researchers in this field of Quranic miracles, its specialties have increased, so you can ask about what It is the site of the miraculous effect from it, where the specificity and importance of this type of miracle is evident, then how can the purpose of this aspect of miracles be clarified in determining faith in God Almighty and establishing the provisions of his law in the hearts and that the aspects of the Quranic miracle do not stop, and are not limited. We can judge the effect of the Islamic faith on human life through the historical reality of the Islamic nation that has embraced this sound belief and lived with it in the real world that the Holy Qur'an has an influence by its style on its listeners through its wondrous and overpowering authority that affects believing hearts and infidel hearts as far as Alike. As soon as a person reads

verses from the wise dhikr or hears them reciting them, he senses them in himself and signed this book right and that the Messenger, may God's prayers and peace be upon him, who was brought up by the Messenger of Truth, as well as the matter in all the miracles of the prophets is not intended to incapacitate creation for the same incapacitation but for its crisis and its indication of They are sincere about what they report about God, so people move from feeling helpless about miracles to their feelings and their belief that they are issued by the God who is capable of high wisdom and that is guiding them to believe those who came with them to be happy with his followers in this world and the hereafter in particular and feel in his heart a special influence and a wonderful power that has nothing but the verses of the Qur'an Holy miracle Influential This great position between the miracles of the Noble Qur'an, the severity of its impact on the soul, its effect on the hearts and its families, the side of the miracle on the part of those interested and researchers.

